العلماء عن الأخذ منها، فسيجد أنها تكون ما يشبه السور الخارجي للقبائل الموثقة ، كما هو واضح فى لخم وجذام وقضاعة وإياد وغسان والنمر وتغلب وبكر وعبد القيس وأزد عمان ثم اليمن والجنوب لصلتهما القديمة الحميمة بالأحباش ، وكذلك من اتصل اليمنيون بهم من القبائل بكثرة ، كبنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف ، وأخيرا القبائل التى كانت تقيم فى حاضرة الحجاز .

فأساس قبول العلماء ورفضهم إذن هو العزلة والمخالطة ، إذ يترتب على ذلك خلوص النطق أو اختلاطه ، ولا يقصد بذلك المخالطة على إطلاقها ، بل المقصود هو مخالطة الأجانب من الأعاجم خاصة ، والمخالطة الدائمة على وجه أخص .

وهذا يتحقق فى القبائل النازلة على الأطراف ، أو المستقرة فى الحضر ، ولهذا وثقوا بمن أخذوا عنه اللغة — بعد هذا الاحتياط — وثوقا يكاد يصل إلى حد التنزيه ، وإذا صادف العلماء أحد الظواهر اللغوية الشاذة لعرى من هذه القبائل تهيبوا من تخطئته ، وكثيراً مانص ابن جنى فى الخصائص على أن العربى الفصيح إذا سمع منه ما يخالف اللغة السائدة ينبغى ألا يحكم على ذلك بالخطأ ما دام موثوقا من فصاحته ، فربما كان ذلك منه ارتجالا ، وربما وقع له من لغة قديمة طال العهد عليها ، ولم تصل إلينا ، وهو على كلتا الحالتين لا يصح الحكم عليه بالخطأ .

ولعل ذلك نفسه يفسر بعض المصطلحات التى أطلقت قديما على بعض قبائل العرب ، إذ أطلق على بعضها لفظة « الأَرْحَاء » كما أطلق على بعضها الآخر لفظة « الجَمَرات » ويقصد « بالأرحاء » أولئك الذين أحرزوا دورا ومياها ، فلم ينزحوا عن أوطانهم ، بل هم يدورون فى أوطانهم كالأرحاء على أقطابها ، ومن هؤلاء فروع من تميم وأسد وطيء وكلب وربيعة .